‘TRAZ ‘ZAS TAZ

هيا بنا لنعرف ماذا يعمل صانع الفخار

‘TRAZ‘ZAS‘TAZ

هيا بنا لنعرف ماذا يعمل صانع الفخار

النص: فاتيما برافو، چينا تيلمو، ميجل نونتيش
رسوم توضيحية وترتيب الصفحات: فاتيما برافو
مدقق لغوي: سوسانا سانتوش
الطبعة الأولى: سبتمبر 2020
الطباعة: Tipoprado
طُبع في البرتغال

السياحة في البرتغال

VILA REAL

ما هي منتجات الفخار الأسود المصنوع في بيسالياياش BISALHÃES؟

هل تريد أن تعرف قصة الفخار الأسود المصنوع في بيسالياياش Bisalhães؟ هذه القصة يمكن أن تبدأ بالجملة الشهيرة «كان ياما كان» التي سمعتها مرارًا، لكن هذا سيحملنا إلى لحظة وزمن غير محدد، لكن من حسن الحظ نعرف أين جرت الأحداث، في مكان قريب جدًا، في بيسالياياش Bisalhães وهي قرية صغيرة تقع في المنحدر الجنوبي لإبراشية موندرويش Mondrões، مجلس مدينة فيلاريال بدولة البرتغال.

منذ زمن بعيد جدًا يتم تصنيع منتجات الفخار الأسود في بيسالياياش Bisalhães بشكل تقليدي، وتتميز عن غيرها بسبب لونها الأسود الذي تختص به! هذه المهنة أصبحت جزء من تقاليد بيسالياياش Bisalhães وأقدم المعلومات المسجلة عن أقدم نشاط لصانع فخار ترجع لعام 1709. وقد مضي عليها أكثر من ثلاثمائة عام!

قد تم تسجيل عملية تصنيع الفخار الأسود في بيسالياياش Bisalhães يوم 29 من نوفمبر من عام 2016 بقائمة التراث الثقافي غير المادي العالمي الذي يحتاج إلى حماية عاجلة من اليونسكو.

وهذا يعني أنه سوف يتم اتخاذ إجراءات لحماية هذا الفن والاعتراف بصناعة الفخار الأسود الخاص بقرية بيسالياياش Bisalhães كأحد الثروات المتعددة التي يتمتع بها بلدنا!

من المتخصصين في هذه المهنة؟

تعتبر صناعة الفخار في بيساليايش Bisalhães تقليديا بمثابة مهنة عائلية. ويعمل بها الرجل والمرأة على حد سواء متبعين خطوات طريقة التصنيع من البداية إلى النهاية، ويلتزم كل شخص بأداء عملة المكلف به.
عموما يؤدي الرجل عمل الفخار أو الصانع الذي يقوم بعمل القالب وتشكيل الطين علي عجلة الفخار. وبينما تقوم المرأة بعمل الزخارف وبعملية البيع ولكن في العموم يتحملوا معا الجزء الأكبر من العمل! وفي بيساليايش Bisalhães تتوارث الأجيال هذه المهنة التقليدية، حيث يحرص الآباء على تعليمها للأبناء وكذلك الأجداد ينقلوها للأحفاد. وهكذا تعتبر هذه المهنة التقليدية مسئولية، ومشاركة في عمل جماعي يتفاعل فيه جميع المشاركين مع بعضهم ومنتجات تخرج من بيوت هذه العائلات لتذهب الي بيوتنا أكثر من كونها مجرد حرفة!

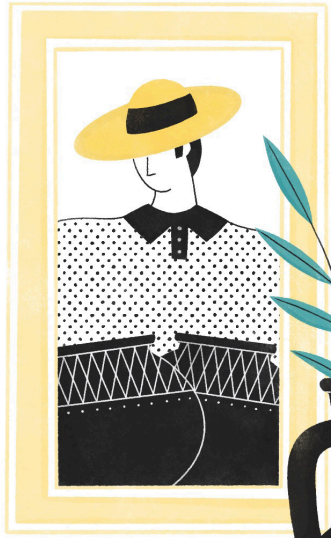

الطين: المادة الخام

يعتبر الطين أو الطفلة نوع معين من التربة يصلح لتصنيع الأواني الفخارية يتم استخراجه من حجارة رسوبية.
وعلي عكس الأحجار الأخرى تتميز هذه الأحجار بأنها أقل صلابة ويمكن تحريكها بسهولة، يتميز الطين المستخدم في تصنيع قطع الفخار الأسود في بيساليايش Bisalhães بلونه الكريمي الفاتح، وقد تم استخراجه من مصادر طبيعية في نطاق مجلس مدينتنا. ويقوم الفخارون حاليا بشرائه من مدينة تشافيس Chaves، ولكنه في تناقص الآن لذلك يحتاج إلى حماية!

الطرق علي الطين

تتميز عملية تصنيع الفخار التقليدية في بيساليايش Bisalhães بكونها معقدة، كما أنها تتم في وقت طويل يتم خلاله إعداد الطين وتشكيله وحرقة. ولكن بالطبع يسبق كل هذا الحصول على المادة الخام: الطين. وبعد ذلك نبدأ المرحلة التي نطلق عليها الطرق علي الطين وخلالها يتم الطرق علي الطين بقوة إلى حدا ما بواسطة مطرقة مدببة حتى يتحول تقريبا إلى تراب!

غربلة الطين

تعتبر عملية غربلة الطين مهمة جدا للتخلص من الأحجار وجذور النباتات والأغصان الجافة وحبيبات الرمال كبيرة الحجم وكل أنواع المخلفات التي تختلف عن الطين: بالإضافة لذلك تؤدي هذه العملية إلى جعل الطين أكثر نقاءً. وللقيام بهذه العملية نستخدم غربال، حيث نضع الطين المتفتت، الذي تم الطرق عليه.

وبعد ذلك، نقوم فقط بتحريكه من جانب إلى آخر. ويتم تخصيص غربال معين لكل نوع. فمثلا لصناعة الأواني الخشنة يتم استخدام الغربال الخاص بالذرة، ولصناعة الأواني الأكثر نعومة يتم استخدام الغربال الخاص بدقيق الخبز ولصناعة الأواني الفاخرة يتم استخدام غربال من الحرير.

عجن الطين

يتم نخل الطين في حوض وهو عبارة عن مستودع من الجرانيت، يتم فيه عجن تراب الطين بالماء وبعد ذلك يتم الضغط علية مثلما يحدث عند صناعة المعجنات أو البيتزا.
نطلق اسم كرات الطين المعجن (beloiro) أو المتجلد علي الطين الذي تم الضغط عليه.
ولكي تحتفظ هذه الكرات من الطين المعجن (beloiro) على رطوبتها ولكي لا تجف نقوم بلفها في البلاستيك.

عملية تشكيل الطين

عمل صانع الفخار ينقسم الي عدة مراحل، كما وضحنا لك في السابق. سوف نوضح لك الآن كيف تتم عملية تشكيل الطين. لبدء عملية تصنيع القطعة يجب على صانع الفخار تحديد كمية الطين الذي يحتاجه ثم يقوم بتشكيله باليد على شكل أسطواني أو دائري.
بعد ذلك يضع جزء من الطين في وسط العجلة ويقوم بالطرق علية طرقات خفيفة باليد لكي يثبته في الغطاء.
والآن يحدث التحول السحري على يدي صانع الفخار الذي يشكل الطين. وتعتبر كلا من التقنية وسنوات الخبرة عوامل أساسية، حيث تنعكس على سرعة إنجاز العمل وإتقان صناعة القطعة!

أدوات تشكيل الطين

والآن يجب أن تكون قد عرفت أن الأداة الأساسية في العمل السحري لصانع الفخار هي يديه، ولكن لتشكيل الطين يحتاج صانع الفخار إلى أدوات أخري مساعدة! فهو يستخدم عموما سكين ومجموعة أخرى من سكاكين البسط، بالإضافة إلى خرقة مبللة.
سكاكين البسط هي مجموعة من السكاكين العريضة لها مقابض مصنوعة من خشب الصفصاف أو شجر السنديان الفليني من أحجام مختلفة، تستخدم للترفيع والتطويل والتنعيم ولكي يرتفع الطين. وتلعب المياه دورا هاما في عملية التشكيل، لذلك يجب أن يكون بجانب صانع الفخار إناء مملوء بالمياه.

تجفيف الطين

تلعب الطبيعة دورا شديد الأهمية في هذه العملية بشكل كامل، ويتم استخراج المادة الخام من التربة وبفضل أشعة الشمس تتم عملية التجفيف.
بعد الانتهاء من صنع القطع يتم وضعها تحت أشعة الشمس أو في حالة التفضيل يتم وضعها في مكان لا تصل إليه أشعة الشمس حتى لا تتعرض القطعة للتشققات. وتصبح القطع جاهزة لزخرفتها خلال أيام قليلة وأحيانا خلال ساعات بحسب فصول السنة.

زخرفة الأواني الفخارية

الآن يبدأ دور المرأة في هذا العمل الجماعي. وبعد الانتهاء من عملية التنظيف بواسطة الرمال، يتم الطرق على القطع بواسطة حجر صغير أملس يُجلب من النهر يُطلق عليه اسم جوجو gogo، ومن التقاليد أن تختص النساء بعملية الزخرفة بواسطة أحجار جوجو gogo الأصغر حجما والأكثر حدة، حيث يقمن برسم أشكال صغيرة على سطح القطع المصنوعة من الطين، لمنحها لمسة مازلت شديدة الخصوصية والتميز الفني.

عملية حرق الفخار

بعد عملية التجفيف والزخرفة بواسطة أحجار جوجو gogo، تُوضع القطع في الفرن، ليس الفرن العادي، ولكن في أفران مختلفة عن المعتاد ذات أرضية مفتوحة! وكقاعدة عامة يكون شكلها على هيئة فتحة دائرية وأبعادها تكون حوالي متر واحد للعمق وقطرها يبلغ مترين. وتتكون من ثلاثة جدران طبيعية مغطاة بالطين، والجدار الرابع من الحجر حيث يوجد الباب. ويتم وضع الحطب، الذي يعتبر العنصر الأساسي لعملية حرق الفخار، في المرحلة الأولي أسفل الشواية بالشكل الذي يسمح بإضافة المزيد، وهكذا تتحول القطع إلى اللون الأحمر. كما أن نوع الحطب المستخدم يعتبر عاملا أساسيا حتى يصبح اللون الأسود، الذي يميز القطع، لامعًا وموحدًا، ولذلك يتم حرق حطب من أشجار الجنستاوات والنباتات الحزازية وإلجينيستا ثلاثية الأسنان.

الزمن المحدد لعملية الحرق

ربما قمت بالمساعدة من قبل في عملية تسوية المخبوزات في الفرن، ولكن هذا النوع من الأفران يعتبر شديد الخصوصية، وأيضا الزمن المحدد لعملية الحرق له نفس الصفات! يمكن أن تستغرق عملية الحرق يوم كامل إذا تم احتساب كل الأعمال المرتبطة بهذه العملية، وربما تستغرق عملية حرق الفخار بالفعل يوم كامل! يبدأ صانعي الفخار والنساء العمل قبل شروق الشمس، ويقوموا بنقل الأواني والحطب حتى مكان الفرن.

وبعد ذلك يجب جمع القطع بشكل آمن إلى حد كبير في تجويف الفرن ويوضع الحطب بشكل متدرج حتى الحصول على درجة الحرارة المثالية. وعندما تحيط شعلة النار بالقطع يتم وضع عود من شجر الصنوبر في الجزء العلوي، وبعد ذلك يتم إحكام الغلق على القطعة وإغلاق الباب بواسطة النباتات الحزازية أو أبر أو أوراق الصنوبر والطين لمدة ثلاث ساعات.

وبعد ذلك يجب الانتظار قليلا حتى تبرد القطع حتى يمكن إخراجها.

ويرجع اللون الأسود لقطع الفخار إلى هذه التقنية أثناء عملية الحرق والسبب الرئيسي لهذه الظاهرة هو عدم وجود الأكسجين بسبب غلق الفرن بشكل محكم. وعند امتلاء الفرن يمكن حرق مئات من القطع.

القطعة النهائية

والآن نصل إلى المرحلة النهائية، وهي المرحلة التي توضح لنا الطبيعة الفريدة لهذا الطين وهذا الفن الخاص بنا. بعد عملية الحرق تصبح القطعة جاهزة للبيع! ولكن يجب نقلها من جديد إلى الورشة للقيام بتنظيفها ولحساب عدد ما فُقد أثناء عملية الحرق. نعم، أثناء عملية الحرق من المعتاد ألا تتحمل بعض القطع! ولكن ما يجعل من طين بيساليايش Bisalhães فريدًا في نوعه هو أن كل قطعة لها ما يميزها من حيث تشكيلها على أيدي صانع الفخار وقد تمت زخرفتها بأيدي النساء ودهنها بالدخان الكثيف. وتتمتع كل قطعة بهويتها المتفردة فلا توجد قطع متطابقة، ولكنها تتشابه ظاهريا ولذلك فهي قطع فريدة من نوعها.

عملية بيع الأواني

في الماضي كان يتم نقل الأواني في سلال كبيرة بعد الانتهاء من تصنيعها حتى حافة الطريق أو إلى سوق المدينة لكي يتم بيعها. بالإضافة إلى أنها كانت تستخدم «كعملة » في عمليات المقايضة وكان صانعي الفخار يقايضوها مقابل البصل والجوز والبطاطس علي حسب الموسم. وكان أكبر أسواق الفخار الأسود توجد في مدينة سان بيدرو في فيلاريال، حيث كان تمتلئ «لارجو دا كابيلا نوفا» بالجواهر السوداء، واليوم يمتلك صانعي الفخار في بيساليايش Bisalhães محلاتهم الخاصة للبيع في «فيلاريال» على حافة الطريق حيث يقوموا بعمليتي الإنتاج والبيع للمنتجات التقليدية.

بعض القطع شديدة العراقة من الفخار الأسود في بيساليايش Bisalhães: الإبريق السحري (bilha do segredo)، ابريق ذو حز (Bilha de Rosca)، إناء صغير ذو يد للتزود بالماء (Pucarinhos)، إناء الماء (Alguidar)، وعاء لشوي الأطعمة (Assadeira) وإناء له مخرج يشبه منقار الطائر (pichorra). بالإضافة إلى الكثير من القطع الأخرى!

والآن هذا الفن القديم مهدد بالاختفاء بسبب تقدم عمر الرجال والنساء الذين يعملون بهذه المهنة وبسبب عدم انتظام الشباب في عملهم بهذه المهنة، ولذلك توجد الآن ضرورة لاستعادة هذه المهنة والحفاظ على استمراريتها! ولذلك نوجه لك دعوة للتحدي لكي تصبح جزء من كتيبة حماة صناعة الفخار في بيساليايش Bisalhães! وسوف تقوم بالمساعدة وحماية هذا الفن شديد الخصوصية لنا! وكيف يكون ذلك؟ هذا شيء سهل عن طريق الترويج ودراسة هذه المهنة، ومن يعرف، ربما تأتي أنت لتعمل بمهنة صانع الفخار! إننا نعتمد عليك!